العمارة البدائية كمدخل لجداريات معاصرة

Primitive architecture as a concept of Contemporary Murals

أ.م.د/ حسناء حسن محمد أحمد
الأستاذ المساعد بقسم التصوير- شعبة تصوير جدارى
كلية الفنون الجميلة – جامعة الإسكندرية

ملخص البحث :

إن العمارة البدائية هي من أقدم الدلالات التاريخية على ارتباط الإنسان بظاهرة التشكيل والبناء منذ أن حاول الإنسان أن يتخذ مأوى على ظهر الأرض ، ومنذ إنسان الكهوف ونجد أن الفن سار جنبا إلى جنب مع العمارة منذ عصور ماقبل التاريخ وترك لنا آثار وحضارات قديمة مختلفة . ونحن عندما نعود ونتأمل هذه الآثار والأنماط والطرز هي في الحقيقة تترجم علاقة الإنسان بالأرض وتضعنا أمام البدايات الأولى للفن والعمارة البدائية ولغة الفنون البصرية في ميلادها الأول ، وتتلخص مشكلة البحث في معاناة العمارة المعاصرة من الرتابة في ظل الأنماط المعمارية الموحدة والحلول الجدارية المستهلكة والتقليدية . ويهدف هذا البحث إلى الرجوع إلى التراث والموروث الفني في العمارة البدائية وتفعيلها في عالم التصوير الجداري والعمارة المعاصرة .

Abstract

Primitive architecture is one of the oldest signs testifying to human connection to the phenomenon and construction since he first sought shelter on earth. Since the prehistoric times, art has proceeded alongside architecture leaving us diverse ancient civilizations and landmarks. On contemplating these landmarks, patterns and styles, it is found that they all interpret the earliest connection between man and earth. They present us with the earliest initiations for art, primitive architecture and visual arts language as they first emerged.

The research question within hand boils down to the repetition colouring contemporary architecture owing to the unified architectural styles and exhausted mural solutions.

The research seeks to reconsider to the artistic heritage found in primitive architecture and to implement in contemporary in the realms of contemporary architecture and mural paintings.

مقدمة

على مر العصور ومع رحلة تطور الإنسان الحضارية دائما سيتوقف تاريخ الفن والتاريخ الإنساني منذ القدم، المصورون والفنانون والمبدعون لإعادة النظر في الأصول والبدايات الأولى والتي نشأ فيها الوعي الإنساني في رسوم الكهوف والبنايات القديمة التي سجلت رحلة الإنسان نحو التشكيل والبناء بكل مظاهر الحياة المرئية حول الإنسان . ومن هنا فإن كثير من الأعمال الفنية الحديثة تتوقف أمام التاريخ وتقتبس منه ربما يكون الحنين إلى تأمل وإعادة النظر في هذه القيم الجمالية الأصيلة التي كانت هي بداية رحلة الإنسان في مجال الفنون البصرية والتشكيل والإبداع . ومن هنا فإن المزج بين الماضي والحاضر والمستقبل هو أحد سمات التطور والتجديد واستخلاص القيم الأزلية الثابتة في طبيعة الفن والإبتكار .

ومن هنا فإن هذا البحث يتناول الدعوة إلى إعادة تأمل واكتشاف ثنايا التاريخ والعالم القديم وإعادة النظر أيضا إلى الدوافع البدائية القديمة التي شكلت طبيعة الفن والإبداع على مر التاريخ .

يدعو هذا البحث أيضا إلى التعامل الحر مع الجدران التي يمكن أن تستقبل هذا التفاعل التلقائي المنعتق من فكرة التصميم المسبق . لذلك يستطيع الفنان المعاصر في مجال التصوير الجداري أن يقدم أنماطا جديدة في التصميم والآداء والتكوين تتسم بالتلقائية والفطرة لتنفيذها في أماكن تستقبل هذه الرؤى البسيطة على بعض من الجدران خاصة في الحدائق والمدارس المختلفة . وعلى كثير من الواجهات المعمارية بالمنتجعات والمدن الجديدة .... وأيضا على كثير من المباني التي تتآلف في رسالتها مع هذا النوع من التصوير الجداري خاصة أن هناك الكثير من الفنانين التشكيليين المعاصرين لديهم الخبرة أن يقدموا هذا النوع من الأعمال الجدارية التلقائية المناسبة في المكان المناسب والمعاصر .

مشكلة البحث:

- افتقار الفنون الجدارية المعاصرة إلى إستقراء التراث الإنساني وتوظيفه في الأعمال الجدارية المعاصرة
- ظهور خطر يهدد فن العمارة المعاصرة في ظل رتابة الأنماط المعمارية الموحدة .

أهمية البحث:

ترجع أهمية البحث إلى ضرورة إعادة النظر في الأصول القديمة التي شكلت طبيعة الفن ومنابعه ومصادره في ظل الحضارات القديمة على مر التاريخ وعلى وجه الأرض ، ويسعى البحث إلى تأكيد التكامل النفعي والوظيفي بين تصميمات العمارة البدائية وعلاقتها بالعمارة الحديثة عند الضرورة وأيضا تدعيم واحترام رؤية المصمم الجداري من ناحية بناء علاقة جمالية جديدة بين القديم والجديد في واقع العصر .

يهتم البحث أيضا بالتعرف على أسرار وملامح التفوق والإبداع الذي حققه الإنسان منذ فجر التاريخ وتفعيله.

هدف البحث :

يهدف هذا البحث إلى تجديد الرؤية والفكر في مجال لغة التصوير الجداري ومعطياته البصرية والفكرية في مفهوم التصميم . كذلك البحث عن وحدة التعبير والثراء الجمالي والشكلي بالرجوع إلى الأصالة واتساع مفهوم ومجالات الفنون المرئية .

يهدف البحث أيضا إلى تدعيم فكرة أن التصوير الجداري ليس تجميلا للمكان فحسب بل عليه التعامل مع الوظيفة الفعلية للمنشأت المعمارية في ظل آفاق جديدة مستوحاة من الفنون الفطرية والتلقائية .

فروض البحث :

أن العمارة المعاصرة فرضت قيما جمالية جديدة وتتطلب من الفنان والمصمم الجداري ضرورة النظر إلى الحضارة الإنسانية في مرآة التاريخ .

أن الرجوع إلى التراث والموروث البدائي القديم يفرض التأمل في البحث عن الدوافع والإيحاءات الفنية التاريخية للإستفادة منها وتفعيلها في عالم العمارة المعاصرة .

منهج البحث :

اتبع البحث المنهج التاريخي من حيث الدراسة النظرية لمفهوم وتطور العمارة البدائية من الناحية الإجتماعية والفنية والتاريخية ومدى ارتباطها بالفن والمجتمع .

اتبع البحث أيضا المنهج التطبيقي باختيار عدد من التصميمات المستوحاة من جداريات العمارة البدائية وتوظيفها على جداريات معاصرة في أماكن افتراضية .

أضواء حول الفن البدائي :

الفن البدائي هو فن فطري تلقائي قوي التعبير ، يعبر الفنان من خلاله عن أحلامه وحياته وطقوسه ومعتقداته ، تارة بالرقص أو الحركة أو الغناء أو عن طريق الفن التشكيلي نفسه[1]

والفنون البدائية هي دائما مرآه لعلاقة الإنسان بالأرض وبالمكان والزمان التي بدأت فيه قصة تفاعله الإنساني الذي يشكل البعد الفكري والنفسي لشخصية وملامح الإنسان عبر التاريخ (رؤيته . لغته . وسلوكياته) .

وبالتالي نستطيع أن نستقرئ من تراثه وآثاره القديمة وعلاقته بأشياء كثيرة ومنها رؤيته للكون وعلاقته بالأرض والشمس والكائنات المحيطة به وأيضا بالليل والنهار.

كثيرا ما ترجمتها آثاره المرئية التي سجلها وشكلها الإنسان البدائي وبين المجسمات والمسطحات التي حفظتها الجدران على مر التاريخ .

الفن والعمارة البدائية عبر الحضارات الإنسانية القديمة :

لكي تفهم آثار الفن البدائي لابد من الكشف عن العقلية البدائية التي تجعل هذه الشعوب تعيش بأسلوب حياة من طبيعة خاصة ، هذا الأسلوب الذي خلف فنونا على شكل إبداعات بصرية متكاملة يمكن إخضاعها لقوانين الفن الأساسية في مفهومها المعاصر ، فمع تقنياتها البسيطة تبدو صيغتها معبرة ببساطة عن الواقع المحيط والبيئة البدائية التي أنتجت فيها وتمثلت هذه الآثار في النحت والحفر على الخشب والعظام والتلوين على الجلود ولحاء الخشب ، ومن هذه الآثار أيضا ماكان يقدم من خامات وأدوات استعملت من قرون الرنة والغزال مزينة بأوراق الغار وريش الطيور الملونة والزهور البرية . ويعتقد الباحثون أن تلك الرسومات كانت لصيادين لحيوان الرنة .

وتبين أيضا أن الفن رافق الإنسان البدائي منذ العصر الحجري الأوسط (ميزوليتيك 6000–12000 ق.م) وأن سكان العالم في تلك الحقبة كانوا يعيشون بطريقة متشابهة .

وظهرت حضارات قديمة أخرى واكبت فنونها الفن البدائي والتي تعتبر من أقدم الفنون البدائية التي عثر عليها في مغارة لاسكو *Lascaux* شكل (1) بجنوب فرنسا ويرجع تاريخها إلى نحو 3500 عام ، حيث قام الإنسان الأول في العصر الحجري القديم برسم حيوانات كان يقوم بصيدها مثل الثيران والغزلان وغيرها. [2] فكانت بها رسومات جدارية

([1])https://ar.m.wikipedia.org.wiki

([2])https://ar.m.wikipedia.org.wiki

رائعة ، ولقد عثر أيضا في ليموي *Limewi* في فرنسا على شظايا وحصى عليها تسجيل لرسوم مختلفة كثيرة تعبر عن ألمه وخوفه ، كذلك كهوف الترامبرا في أسبانيا كانت حافلة بجداريات تلقائية مثيرة كشفت عن قدر متميز من الحساسية الجمالية التي أساسها الموهبة والتي عبرت بصورة حيوية وإيقاعية عن الحركة المتمثلة في المظاهر الشكلية التي ضمت مجموعة من الأدوات المختلفة وصور الحيوانات المألوفة آنذاك مرسومة على جدران تلك الكهوف . وهي تبدو اليوم أكثر تطورا مقارنة بغيرها من الفنون الإنسانية القديمة . ويسعى المتذوقون والمتخصصون لمشاهدتها ودراستها حتى جاز القول أن رسوم البدائيين في مغاور لاسكو *Lascaux* لاتقل شأنا عن رسوم مايكل أنجلو في كنيسة السيستينٍ*Sixtine* مما يؤكد أن إبداع البشرية الغني وعبقريتها لايسيران وارتقاء المستوى التقني للحضارة سيرا مطردا .

إن الجداريات البدائية القديمة كانت محملة بقوة سحرية وبها مبالغة وتركيز كما لو كانت في صيغ تجربة وجودية ، فقد تخطت مجرد تمثيل المرئيات .

وقد ترك لنا الإنسان البدائي آثارا إبداعية وقواعد فنية انتقلت إلى الفن الحديث (التجريد والتسطيح والنظرة الهندسية) فالتصوير الجداري يكاد يكون تنبؤا لابتكارات الفنان في العصر الحديث.[1]

وفي مصر القديمة كان فن التصوير الجداري من الفنون التي تطورت تطورا كبيرا ، فكانت جدران وأسقف المقابر حافلة بالرسومات الجدارية منذ عصر ما قبل الأسرات . وكان الفنان المصري فى العصر الحجري الحديث Neolithic يحاول بلوغ فكرة الأشياء ، ومفهومها وجوهرها الباطن ، بدلا من ممارسة التجربة الفعلية النابضة بالحياة [2] .وهكذا كان فن التصوير الجداري في مصر سباقا في خلق رموزه ، وإيحاءاته وتخطيه الواقع.

وقد بدأ فن التصوير الجداري في الصين حوالي عام 1700 ق.م ودار معظمه حول موضوعات بوذيه ، فكانت الرسوم ترسم على الجدران في القرون الأولى أيام أن كانت البوذية مسيطرة على الفن في اليابان.[3]

ولم يحاول الفنان الياباني أن يلتزم الواقع في تصويره بمعنى أنه لا يتقيد بتجسيم الشيء بوساطة تأثير النور والظل . يقول " هوكاساي " " إن التصوير الياباني يمثل القالب واللون بغض النظر عن التجسيم " أراد الفنان الياباني أن ينقل شعورا أكثرا مما ينقل شيئا ، أراد أن يوحي أكثر مما يعرض الشيء بأكمله كما هو .

وأغلب الظن أن بعض رجال الفن من كوريا هم الذين رسموا الصور الجدارية ذات الإنسياب في خطوطها والإزدهار في ألوانها التي تراها في " معبد هوريوجي " ، لأنك لا تجد شيئا في تاريخ اليابان فيما قبل القرن السابع ، تفسر به مثل هذا الإنتاج القومي المفاجيء الذي بلغ فيه كمال الفن روعة لا يعيبها خطأ . [4]

ومن هنا نرى أن الحضارة الصينية واليابانية أصدق دليل على أن التراث القديم للحضارات والممتد إلى آلاف السنين يمكن أن يستمر وينعكس وبشكل إيجابي ومعاصر على واقع الحياة الفنية وعلى المجال المرئي المرتبط بجداريات العمارة المعاصرة .

وهناك حضارات أخرى كثيرة شهدها التاريخ من هذه الحضارات أيضا جزيرة كريت التي شهدت الحضارة المينوية منذ فجر التاريخ ، تألق فن الفريسكو ، حيث صور الفنانون زهورا وحيوانات وأشكالا آدمية .

أما في اليونان القديمة فقد كان من المعتاد زخرفة المباني العامة بألوان التمبرا والتصوير بألوان الشمع *Encaustic* . وقد انتقلت تلك التقاليد فيما بعد إلى العصور الهيلينستية *Hellenistic* والرومانية *Romanc* .

([1]) H.w Janson History of art – 5th edition Harry N. Abrams, Inc. Publishers, p. 47 - 48

([2]) أرنولد هاورز **الفن والمجتمع عبر التاريخ**، ترجمة: د. فؤاد زكريا، الجزء الأول، دار الكتاب العربي للتأليف والنشر، 1971، ص. 23

([3]) ول ديورانت قصة الحضارة، **الشرق الأقصي اليابان** ، دار جيلاب ، بيروت، ص. 142

([4]) ول ديورانت قصة الحضارة، **الشرق الأقصي اليابان** ، دار جيلاب ، بيروت، ص. 142

أمابالنسبة للحضارة الهندية فكانت جدران الكهوف في منطقة أجانتا *Ajanta* في الهند مغطاه بمناظر مختلفة لمشاهد من الحياة اليومية الهندية .[1]

الفن البدائي والفن المعاصر وحتمية العودة لتأمل التاريخ :

اهتم الإنسان المعاصر بفنونهما وقاربها بالفنون الشعبية التقليدية وأساليبها التراثية ، ويستشف من عناصرها الأساسية صفاء التعبير وبساطة النموذج ، وقد جذبت هذه الميزات أيضا فنان القرن العشرين الذي حاول التمرد على الواقع ومال إلى العودة إلى البدائية باحثا عن حريته التعبيرية بعيدا عن التقنية كي ينظر إلى العالم نظرة عفوية ، وفي هذا إقرار مباشر بالخصائص الإيجابية للفن البدائي ولفن الأطفال الذي أحدث تأثيرا مباشرا في عمل الفنانين الحديثين في حركة واعية للعودة إلى سذاجة النظرة الطفولية والبساطة البدائية .[2]

ويذكر مؤرخ الفن الحديث هربرت أنه :" يمكننا أن نعرف طبيعة الفن الجوهرية من تجلياته الباكرة عند الإنسان البدائي وعند الطفل ، فالإنسان البدائي والطفل لا يفرقان بين الواقعي واللاواقعي ، فالفن عند هؤلاء ليس خاليا من الغرض وليس أمرا عرضيا على كل حال .

ويرى هيربرت ريد *Herbert Reid* أن للفن البدائي دلالة على أهميته العملية القصوى مما حصر استخدامه لدى الجماعة بالكاهن ، ومهبط الوحي والوسيط الذي يجلب للقبيلة الخصب والبركة ، ويعبر بالفن التشكيلي عن الأحاسيس الأولية البديهية . [3]

وعندما يعود الفنان والمصور الجداري المعاصر ليتأمل هذه الآثار من الفنون التراثية البدائية يجد أنها في الحقيقة دوافع غريزية تترجم علاقة الإنسان بالأرض فهي على اختلاف الخامات التي نفذت بها فإنها تضعنا وجها لوجه أمام البدايات الأولى للفن والعمارة البدائية اشكال (7:2) وأيضا لغة الفنون التشكيلية والبصرية في ميلادها الأول وبالتالي عندما نتأمل هذه المعطيات البصرية من منطلق تخصصنا في لغة الفنون المرئية فإننا نستطيع أن نؤكد الدوافع الشعورية واللاشعورية التي عاشها الإنسان الأول وتستحضرها عند ميلاد عمل فني جداري حديث .

التصوير الجداري والعمارة :

فن العمارة :

يعتبر فن العمارة من الفنون التي لها اتجاهات إجتماعية وأسس اقتصادية ، ومهما يكن تأثير جمال العمارة فينا والغرض الأساسي النفعي ، فقد أنشئت لتخدم غرضا جوهريا . وسواء أكان الغرض فرديا أم جماعيا فليس من الجائز مشاهدة بناء لم يؤد غرضا نفعيا اجتماعيا .[4]

العمارة بين النفعي والوظيفي :

هناك حقيقة معمارية هامة وهي أن : التشكيل المعماري السليم يجب أن يكون ترجمة صادقة لوظيفة المبنى فإن هدف فن العمارة هو التوفيق بين استيفاء الغرض الوظيفي من المبنى وبين التشكيل الجمالي له وهنا تظهر العلاقة الضرورية بين النفعي والشكلي لأي مبنى حيث يتبع الشكل ما يمليه المضمون.[5]

([1])www.Galartes.com/Techni/Mura.HTM

([2]) https:ar.wikipedia.org.wiki.

([3]) هربرت ريد الفن اليوم، ترجمة : محمد فتحى ، جرجس عبده، دار المعارف ، مصر، 1981.

([4]) برنارد مايرز **الفنون وكي نتذوقها**، ترجمة : سعد المنصورى، مسعد القاضى، مكتبة النهضة لمصرية ، القاهرة، ص. 84

([5]) دكتور / يحيي حموده، **التشكيل المعماري**، دار المعارف، مصر، 1977، ص. 9

فالمضمون النفعي للمبنى نعني به الأنشطة التي تؤدي بداخله أما الشكل فهو التصميم والشكل الجمالي المناسب داخل وخارج المبنى . وعلى المهندس المعماري أن يوفق بين المضمون الوظيفي للمبنى والشكل المعطى له للحصول على اتزان بينهما .

التصوير الجداري والعمارة علاقة متبادلة ومتباينة :

يعد فن التصوير الجداري من أهم الفنون التي لها القدرة على التعبير عن ثقافات الأمم الإنسانية فهو من أقدم أنواع الفنون التي صاحبت العمارة التي يعتبرها الفلاسفة أم الفنون ، فهي الحامل الحقيقي لجميع أعمال التصويرالمرتبط بالعمارة داخليا أو خارجيا ، ولذلك يجب أن يتم تعاون وثيق بين كل من المهندس المعماري والمصور الجداري فالمعماري يبتدع الإطار العام للعمل الفني ، كما يحدد الموضوع والمكان الملائم له ، وربما مجموعة الألوان المستعملة ويتعاون معه المصور الجداري في تحديد أسلوب التكوين وطريقة التنفيذ الملائمة والتعبير عن الموضوع قصصي أو أسطوري أو تاريخي أو فلسفي أو ديني ، وذلك لتحديد السمات الأساسية لهذا المبنى ومن الضروري أن تكون حرية التعبير والإبداع مكفولة للمصور الجداري . ومما لا شك فيه وما يحاول تأكيده هذا البحث أنه ليس هناك قطيعة بين التراث الفني القديم وبين الرؤى المعمارية المعاصرة المستقبلية لأن التاريخ الإنساني متواصل منذ القدم والإنسان يطل عليه ويستلهم منه ما يشعر به عبر التاريخ ،باختيار تصميمات جدارية من التراث القديم تتناسب مع الشكل المعماري و وظيفة المبنى نفسه .

العمارة الحديثة ومقوماتها الجمالية والإنسانية :

إن للفن والعمارة عندما يتحدا معا في تآلف وتناغم قدرة فائقة على السمو بتجربتنا المكانية مما يحقق الجوانب الروحية جنبا إلى جنب مع الجوانب الحسية لحياتنا اليومية فالفن يثري التجربة الإنسانية للإنشاء المعماري .

الإهتمام والتعاون بين الفن والعمارة تقليد قديم اتخذ صفة العالمية في القرن العشرين . ويتطلب هذا الإهتمام دراسة العناصر والعلاقات والقواعد التنظيمية الكامنة في العمارة القديمة حيث لابد من معالجة ماتعاني منه العمارة اليوم من التجزئة والشكل الموحد .

وذلك يدعو إلى دراسة متطلبات الحاجة الأساسية التي يفترض توفرها في العمارة للوصول إلى عمارة إنسانية تستلهم الموروث المعماري البدائي القديم لتحقيق بيئه معمارية متكاملة ومحافظة على الهوية والخصوصية بما ساعد المصمم المعماري والمصور الجداري أن يكون أكثر فعالية وكفاءة بما يتلائم ومتطلبات العصر الحديث بما فيه من إمكانيات فنية حديثة مواكبة للتقدم الحاصل على صعيد الفن المعماري المعاصر .

العمارة الحديثة بوصفها علماً :

انقسمت العمارة الحديثة على الرغم من سيطرة العقل والعلم والوظيفة ، إلى هندسة إنشائية ، ومعمارية، الأولى تعني بالنواحي العلمية المحضة لتحقيق الإنشاء الأكمل ، والثانية تسعى إلى تقوية ملكة الإبداع والفن في العمارة ليتكاملا سويا .

إلا أن عمارة القرن العشرين كانت من صنع المهندسين على الرغم من المعماريين ، لذلك فقدت العمارة الطابع الجمالي على حساب التشكيل الإنشائي الذي فرضه العلم .

فقد كانت عمارة القرن العشرين عقلية بسبب انتمائها إلى التقنيات الحديثة ، وإلى هيمنة الفعل الإنشائي المتطور باستخدام الخرسانة ، التي بدت نبيلة بذاتها في عمارة الكنائس التي صممها " بيره " 1952 مع أخويه وكانوا رواد الخرسانة المسلحة .

كذلك شهد القرن العشرين تحولا شاملا في فن العمارة تحت لواء الحداثة عارضا جميع التقاليد المعمارية ، مقبلا على استغلال التقنيات المبتكرة والتي ساعدت المعمار على إبداع أشكال معمارية مختلفة خاضعا للوظيفة التي تحكم العقل في تقريرها وتنفيذ مطالب العمارة الحديثة.

فإن العمارة الحديثة تسعى إلى التنميط العالمي وابتعدت كل البعد عن الإنسانية الكامنة في بنية أي مجتمع وهيمنت عليها النظم الموحدة النمطية .

جماليات جداريات العمارة البدائية :

تتسم هذه الأعمال بالتلقائية والشجاعة والصدق في تنفيذها مما أدهش العالم عند تأملها حيث لا تخضع هذه الجداريات في تصميمها وتنفيذها إلى الفكر والمعرفة الأكاديمية والتطبيقات والقوالب والمدارس الفنية بل دائما تخضع إلى جانب الفطرة والحرية لترجمة حاجات الإنسان إلى الفنون المرئية التي تتسم بالحرية والإنعتاق من القيود .

ويطبق معظم الفنانين البدائيين أعمالهم بطريقة حسية دون التفكير فيما يقومون بعمله ، وقد أصبحت نماذج التصميم مستوعبة تماما في عقلية ومادية الفنان ، ولذلك فإن يده تتجاوب أوتوماتيكيا مع المنطق اللاشعوري ، ويتكون الرسم أو التكوين دون حاجة إلى التمعن كما نفعل نحن هنا ، بالظبط كالملحن الموسيقي يندفع إلى فكرة موسيقية معينة رائعة مع نغم طبيعي منسجم ، فالفنان يندفع إلى خلق تكوين مكون من الخطوط والألوان والملمس وغيرها ، ويفكر في معاني التصميم كالموسيقار الذي يفكر في معاني اللحن والإنسجام . [1]

ومن الجدير بالذكر أن كثير من هذه الأعمال نمت وسميت بمسميات عديدة ومن أهم هذه الأعمال الآثار التي تركها الشعب الألماني على جدار برلين وقد حفظه التاريخ في ألمانيا بالتصوير والتسجيل كظاهرة إنسانية للفن البدائي المعاصر .

ومن هنا نطرح سؤالا هاما ... لما لا يتعامل الفنان بهذه التلقائية وبدوافعه الأولى والتي لازالت موجودة في وعيه القديم والتي نراها من حين إلى آخر في أعمال بعض من الفنانين المعاصرين الذين يتعاملون مع الجدار وجها لوجه دون قيود .

مأساة القطيعة بين التراث والتاريخ والمعاصرة :

من المؤكد أنه لابد لأي اتجاه أو مذهب جديد أيا كان مجاله أن يحمل جديدا في الرؤية والشكل والتوجه وهو بالطبع ما يتفق تماما مع اتجاه الحداثة ، ولكن مالا يمكن فهمه هو رفض الحداثة لكل مايربطها بما سبقها من تقاليد واتجاهات وتراث فني ضخم ، والإدعاء أن ماتقدمه هو نبت جديد تماما لا سابق له ولا جذور متناسين بذلك أن مالا جذور له يكون هشيما تذروه الرياح ولا يستطيع الصمود لاختبار ديمومة الزمن .

إن الحداثة ترفض كل تقاليد متعارف عليها سواء كانت هذه التقاليد دينا أو عقيدة بكل ما يجعله الدين من ثقل روحي وثقافي من الناحية الفكرية ، أو ما يحمله من طاقة توجيه وإيحاء وتعبير من الناحية الفنية.

إن رفض التراث الإنساني هو أحد إبداعات الحداثة إذ أن كل الحضارات والاتجاهات الفنية السابقة اعتمدت على الإستفادة من التراث السابق وانتقاء ما يناسب منه لتقديم رؤيتها الخاصة . أمارفض هذا التراث ككل فهو أمر يتعارض مع المنطق والواقع وهذا الرفض للتراث والتقاليد قد أوقع الحداثة في مأزق فتحت ضغط موقفها هذا لم تجد ما تلجأ إليه حتى تكون مختلفة عما قدمه التراث من قبل سوى تلك الدوائر الفارغة من الشكلية واللاشكلية وتنتهي بما نراه من عبث وخلل يرتكب باسم الحداثة .

([1]) برنارد مايرز **الفنون وكي نتذوقها**، مرجع سابق، ص. 247

القيم البدائية في أعمال المصورين المعاصر :

أصبح الارتباط الوثيق بين الفنانين المعاصرين وبين الفنون البدائية له أكبر الأثر في زيادة التقدير والإعتراف بهذا الفن .

ولقد كتب (روجر فراي) يقول : كان يجب الإعتراف بأن بعض هذه الأشياء أعظم فيما أعتقد من أي شيء آخر أنتجناه في العصور الوسطى ، وبالطبع فلها الخصائص الفنية المميزة بدرجة كبيرة (1) .

لقد أصبحت البدائية مظهرا أو محاولة للتحرر من القيود الفنية التي تتصف بها أعمال الفن نتيجة الإصطناع والتكلف في عصرنا الحالي ، كما أنها سبيل للبحث عن طريق يتمكن فيه الفنان من أن يزداد تفاعله مع الطبيعة والخامة على أساس من التلقائية .

لقد أدرك فنانو العصر الحديث في ذلك التعبير البسيط المليء بالطاقات ومظاهر التعبير والانفعال النفسي ، بعدا جماليا ارتبط تقييمه بما تثيره تلك الأشكال من معاني وصياغة تلقائية فكان ذلك بمثابة حافز جديد انطلق منه الفكر وتشبعت منه النظريات والأساليب والتقنيات ، حاول الفنان المعاصر خلالها أن يضع اطرا لإنتاجه الفني .

فذهب كل من ماتيس وديران وبيكاسو وآخرين من فنانو القرن العشرين إلى إستلهام أعمالهم من الأقنعة الخشبية الأفريقية ذات الأشكال والحدود الحاده فقد أثر هذا على المفردات التشكيلية عند التكعيبيين وقد عبر (ميرو) عن أعماق الإنسان ورؤاه الأسطورية . ولعل هذه الألوان الناصعة التي تملأ لوحاته قد واتته من عوالم الخرافات البدائية لهنود أمريكا اللاتينية بحكم كونه أسبانيا.

ومن أمثلة الفنانون المعاصرون أيضا الفنان بول كلي *Paul klee* عندما عاد في نهاية مرحلة "الباوهاوس" إلى أزمنة بعيدة من تاريخ الفن كالحضارة الفرعونية أو رسوم المغاور في العصر الحجري القديم وانتقائه منها عناصر تشكيلية حولت لوحاته إلى مايشبه الفسيفساءات القديمة . استطاع بول كلي أن ينفذ تصميماته بطريقة تتميز بالتلقائية البدائية باستحضار تلقائيته وطفولته وفطرته في آدائه لأعماله الفنية . أشكال (9-10)

أيضا الفنان بول غوغان *P.Gauguin* مال إلى الفطرية والرمزية مستوحيا من الفن البدائي لجزر هاواي ، وكذلك الفنان *Kandinsky* كاندينسكي وتلقائيته الشديدة في بناء عمله الفني . أشكال (11-12)

وغيرهم الكثير من الفنانين الذين قامت تجربتهم الفنية على توظيف واستحضار الرموز والأشكال والتكوينات من الفنون البدائية لتحقيق قيم جمالية وتشكيلية في أعمالهم الفنية وهنا نؤكد رأي " جون ديوي " حين يرى أن " الفن يؤكد بكل شدة تلك اللحظات الخاصة التي يجيء فيها الماضي فيزيد من قوة الحاضر ويجيء فيها المستقبل فيكون بمثابة إنعاش ما هو ماثل في اللحظة الراهنة [1]

لذلك تدعو الباحثة في هذا البحث الفنانين المعاصرين إلى العودة بالفن إلى الماضي لصياغة مفهوم معاصر في محتواه ووظيفته إلى جانب البحث عن رؤية جديدة برفض التغير الجذري ولكن بضرورة التفاعل والتعايش مع المعاصرة وعدم قطيعة الماضي بل التعامل معه ومواكبة التقدم الحاصل على صعيد الفن الجداري المعماري المعاصر .

([1]) محسن عطيه **غاية الفن – دراسة فلسفية ونقدية**، دار المعارف، مصر ، 1996، ص. 86

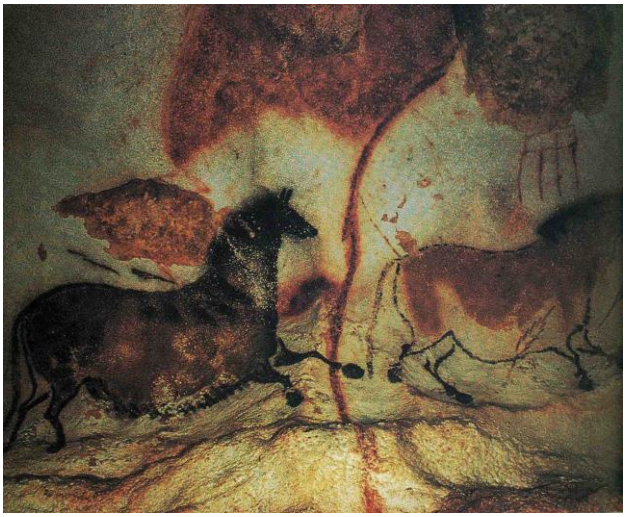

شكل (1) رسومات كهف لاسكو بفرنسا Lascaux France

شكل (2)حلول جدارية لبوابات خشبية مأخوذة
من زخارف من الفن البدائى (افريقيا)

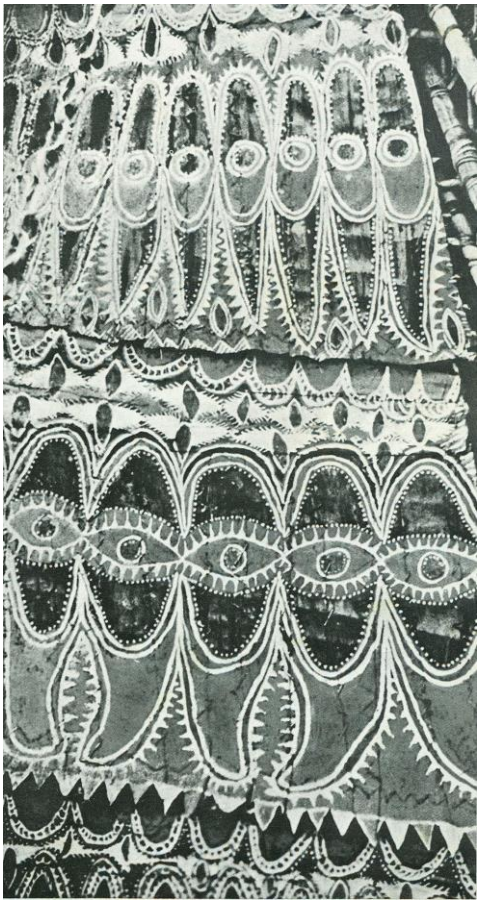

شكل (3) زخارف مأخوذة من الفن البدائى من
أكواخ (غينيا الجديدة) - تفصيلية

شكل (4) حلول جدارية مستوحاة من الفن
المعمارى البدائى (نيجيريا)

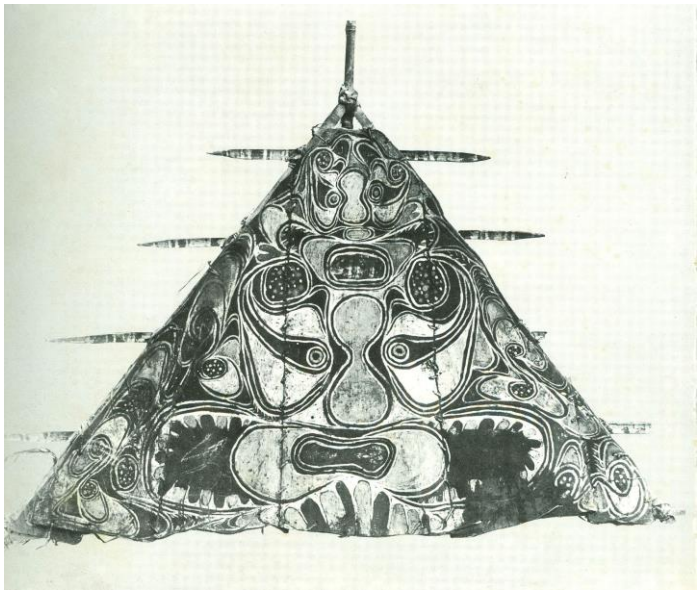

شكل (5) زخارف قديمة مأخوذة من الفن
البدائى على الأكواخ (غينيا الجديدة)

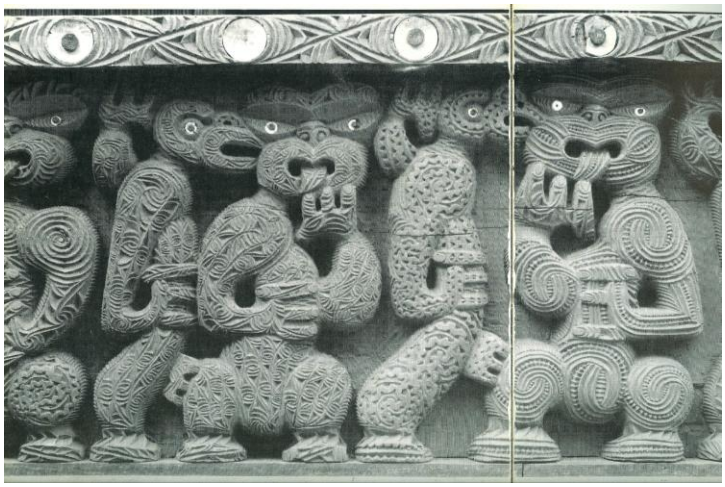

شكل (6) حلول جدارية مستوحاة من الفن البدائى قديماً (نيوزيلانده)

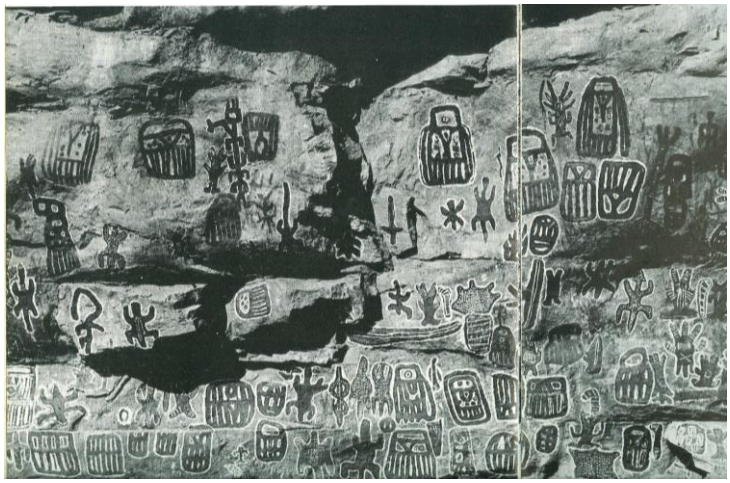

شكل (7) حلول جدارية بزخارف ورموز مستوحاة من الفن البدائى (مالى)

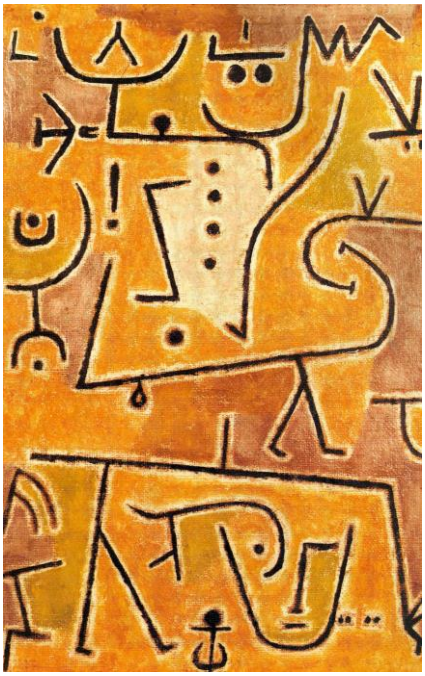

شكل (9)

شكل (10)

اعمال للفنان بول كلى (Paul Klee) تتسم بالطفولة والفطرة والتلقائية البدائية فى الاداء

شكل (11)

شكل (12)

اعمال للفنان كاندنسكى (Kandinsky) تتسم بعفوية الاداء والانطباعات البدائية فى الالوان والخطوط

دراسات وأمثلة من فنون العمارة البدائية لتحقيق قيم جمالية وشكلية مناسبة على واجهات ومداخل معمارية معاصرة :

هذه التجربة ساعدت على اقتراح لبعض التصميمات لجداريات معمارية معاصرة من حيث التقنية والتنفيذ ولكنها ترجع إلى الأصالة والموروث المعماري البدائي من حيث التصميم والشكل والمضمون .

وعندما اختارت الباحثة هذه الرموز للعمارة البدائية المستوحاة من التراث الفني البدائي القديم فإنه ليس المقصود به تراثا ميتا أو أشكالا منقولة دون وعي أو تفهم ، وإنما نقصد التراث الذي يتم تحليله وانتقاء الجوانب الإيجابية وما يناسبنا منه ، وهو ما يحقق المعادلة الهامة التي يذكرها سيدني فنكلشين عند تناول التراث إيجابيا (إذ لا يمكن لعملية التعلم الخالصة من الفن الماضي إلا انطلاقا من وجهة نظر نقدية) وهذه النظرة النقدية هي التي تتفاعل لتتفهم التراث أولا ثم تنتقي منه ما تحتاجه من رؤى أو فكر ، وأخيرا لتقدمه بصورة تتلائم مع احتياجاتنا ورؤانا المعاصرة ، وهو ما يحقق أمرين الأول ربط حياتنا المعاصرة بجذورها السابقة ، وهو ما يضفي عليها ثقلا وأصالة ، وثانيا يجعل من تراثنا كيانا متفاعلا غير ميت ، يتسم دائما بالتجديد وإعادة الإكتشاف والتناول والإستمرارية .

تصورات لحلول مستوحاه من العمارة البدائية وتوظيفها كتصميمات على أماكن افتراضية مختارة من العمارة المعاصرة:

شكل (14) واجهه ومدخل مؤسسة حكومية (مبنى أفتراضى)

شكل (15) حلول تشكيلية لمدخل مؤسسة حكومية (مبنى أفتراضي) مأخوذ من حلول من العمارة البدائية– التنفيذ: بتقنيات الموزاييك

شكل (16) واجهة أحدى متاحف الفن الأفريقي (مبنى أفتراضي)

شكل (17) حلول تشكيلية بواجهة متحف للفن الأفريقي (مبنى أفتراضي) مستوحاه من العمارة البدائية - أقتراح التنفيذ المزج بين النحت والموزاييك

شكل (18) واجهة مبنى احدى المكتبات العامة (مبنى أفتراضي)

شكل (19) حلول تشكيلية مستوحاة من الرسوم البدائية القديمة بواجهة أحدى المكتبات العامة (مبنى أفتراضي)
أقتراح التنفيذ : تقنيات الموزاييك

شكل (20) واجهة أحدى معاهد البحوث (مبنى أفتراضي)

شكل (21) حلول جدارية مستوحاة من الزخارف البدائية القديمة بواجهة أحدى معاهد البحوث (مبنى أفتراضي)
التنفيذ : تقنيات الموزاييك والزجاج

النتائج والتوصيات :

- ضرورة تفاعل المصور والمصمم الجداري مع أصول التراث المعماري القديم خاصة في الكهوف والمعابد وفي كل الحضارات ليرصد ويؤكد هذه العلاقة القديمة بين الإنسان والجدار .
- ضرورة التأكيد على أن التراث الإنساني مصدر ومنبع لرؤى الإنسان المستقبلية .
- التأكيد على أن الحداثة لا تتعارض مع التراث والتقاليد .
- ضرورة رفع درجة الوعي لدى المتلقي بأهمية رصد التراث والتاريخ الإنساني القديم .
- لفن الجداريات دورا هاما في خدمة المجتمع وذلك بنشر الوعي الفني بثقافاته المختلفة وتأثيره على مدارك ومفاهيم الناس في شتى الطبقات .
- ضرورة التنسيق بين كل من مخططي المدينة والمعماري والفنان الجداري .
- ضرورة الإستعانة بالمخزون الثقافي والموروث البدائي لتحقيق رؤية جمالية معاصرة .
- تنادي الباحثة بضرورة تبني الدولة لفن الجداريات بالمساهمة في تنفيذ جداريات صرحية في مناطق مختلفة .
- ساعد البحث على ابتكار تصميمات وأمثلة مختلفة مستوحاه من الفنون البدائية القديمة لتوظيفها على بعض واجهات المباني المعمارية المعاصرة .
- الخروج من إطار الحلول الجدارية المستهلكة والتقليدية وتوسيع مجال الرؤية في نطاق استلهام الأبعاد التلقائية والفطرية وتفعيل الأدوات العفوية المستوحاه من الفنون البدائية القديمة .

توصي الباحثة بضرورة توجيه البحوث لدراسة القيم التشكيلية لفنون الحضارات المختلفة ، لما ينعكس ذلك على جميع مجالات الفن والعمارة .

مراجـــع البحث

أولا : المراجع العربة :

1) احمد محمود حمدى ,**ما وراء الفن** , الهيئة المصرية للكتاب ,1993
2) السيد القماش , **التصوير الجدارى والعماره المعاصره _ علاقه متبادله**,الطبعة الاولى ,القاهرة,2009
3) السيد ياسين ,**حوار الحضارات**,الهيئة المصرية العامة للكتاب 2002
4) ثروت عكاشة ,**تاريخ الفن** ,جزء اول - جزء ثانى ,القاهرة دار المعارف ,1971-1972
5) عز الدين نجيب , **فجر التصوير المصرى الحديث** , دار المستقبل العربى ,القاهرة ,1985
6) علاء عبدالله المغاورى, تطور **التصوير الجدارى المجسم و المسطح فى القرن العشرين (امريكا- اوروبا- مصر)** دراسة نقدية 2010,دكتوراة ,كلية الفنون الجميلة جامعة حلوان
7) فؤاد زكريا ,**الانسان والحضارة** ,مكتبة مصر1991
8) محسن محمد عطيه,**غاية الفن ,دراسة فلسفية ونقدية** ,دار المعارف ,مصر ,1996
9) محرم كمال , **تاريخ الفن المصرى القديم** ,القاهرة ,الطبعة الاولى ,1991
10) محسن محمد عطية,**القيم الجمالية فى الفنون التشكيلية** ,دار الفكر العربى ,2000
11) محسن محمد عطيه **غاية الفن – دراسة فلسفية ونقدية**، دار المعارف، مصر ، 1996
12) ول ديورانت قصة الحضارة، **الشرق الأقصي اليابان** ، دار جيلاب ، بيروت
13) يحيي حموده، **التشكيل المعماري**، دار المعارف، مصر، 1977
14) **تاريخ الحضارة الفرعونية**,العصر الفرعونى ,المجلد الاول ,,مكتبة النهضة المصرية ,القاهرة
15) الفن البدائي، من إبداع الفنون

ثانيا : المراجع المترجمة :

16) أرنولد هاورز **الفن والمجتمع عبر التاريخ**، ترجمة: د. فؤاد زكريا، الجزء الأول، دار الكتاب العربي للتأليف والنشر، 1971.
17) برنارد مايرز **الفنون وكي نتذوقها**، ترجمة : سعد المنصورى، مسعد القاضى، مكتبة النهضة ا لمصرية ، القاهرة
18) جون ديوى , **الفن خبرة** ، ترجمة زكريا ابراهيم , دار النهضه العربية ,القاهرة
19) هربرت ريد الفن اليوم، ترجمة : محمد فتحى ، جرجس عبده، دار المعارف ، مصر، 1981.

ثالثا : المراجع الأجنبية :

20) H.w Janson History of art – 5th edition Harry N. Abrams, Inc. Publishers,
21) Rita Gilbert , Living With Art , Mc Graw -Hill,Inc.
22) Klee,Douglas Hall , London, 1977
23) Kandinsky,Francois Le Targat , Academy Editions .London ,1988 .
24) Enrico Guidoni ,Architettura Primitiva ,Milano ,1979.
25) Norman Potter ,Douglas Jackson , Tiffany , London .

رابعا : المواقع الألكترونية :

26) https://ar.m.wikipedia.org.wiki
27) www.Galartes.com/Techni/Mura.HTM
28) https:ar.wikipedia.org.wiki.